المبحث الأول : منشآته العمرانية وخدماته الثقافية

المطلب الأول : منشآته العمرانية

اهتم صالح باي بالجانب العمراني الذي أعاد لقسنطينة ازدهارها الذي عرفته في الماضي ، وانتشاره داخل المدينة وخارجها من خلال تجميل وتنظيم وإشادة بعض المعالم العمرانية بها وذلك من خلال إنشائه لحي سيدي الكتاني وتعميره لناحية الشارع وتشييده لجسر القنطرة[1] .

1. **حي سيدي الكتاني:** بادر بتجميل حي سيدي الكتاني سنة (1189هـ /1775م) الذي أنشأ به مسجد ومدرسة سيدي الكتاني ، أما الجامع الحنفي الذي يعتبر من أشهر أثار صالح باي فقد جلب له دعائمه الرخامية ، وأهم مواد بنائه وزينته المعمارية من ايطاليا [2].

ومما زاد من أهمية المكان أنه أقام بالقرب من المسجد والمدرسة منازله الخاصة التي امتازت بالسعة والضخامة ، وبجانبها شيد بيوتا لتقيم بها حاشيته ومنها خدمة الايطاليون وجراحه الخاص الذي هو من أصل نابوليتاني ، والى جانب هذه المباني تتصل بها بساتينه

[1] انظر الملحق رقم : 02 .

[2] محمد المهدي : **مصدر سابق** ، ص240

واصطبلاته وحمامه الخاص [1] .

بالإضافة إلى إقامة العديد من الدكاكين التي تحيط بسوق الجمعة **(سوق العصر حاليا)** ، والحق بها مجموعة من الدكاكين والمباني والفنادق خارج الباب الجديد عند الكدية [2]، حيث احتل سوق الجمعة الصدارة في معاملات صالح باي بعد الجامع والمدرسة .

وبهذا أصبحت قسنطينة المنطقة مركزا تجاريا نشيطا بفضل تواجد محلات تجارية تصرف غلتها على المؤسستين .

2. **حي الشارع (شارع اليهود)** : لقد قام صالح باي بتخصيص منطقة الشارع التي أقطعها لليهود ليبنوا فيها منازلهم ودكاكينهم ، حتى أصبحت تعرف بحارة اليهود .

تقع هذه المنطقة ما بين باب القنطرة وحافة الهاوية ، حيث تسهل على إدارة البايلك مراقبتهم والتحكم في نشاطهم من جهة ، وحتى يجعلهم بعيدين عن مساكن المسلمين بحي باب الجابية وحي سيدي الكتاني ويعزلهم عنهم من جهة أخرى كي لا يقع أي خلاف أو اصطدام بينهم .

وبذلك عاد النشاط لهذا الجزء من المدينة الذي كان شبه مهجور وأصبح يعرف برحبة الصوف مركزا تجاريا مهما ، بالإضافة إلى ظهور الشارع الرئيسي الممتد بين باب القنطرة

---

[1] ناصر الدين سعيدوني : **دراسات وابحاث ، مرجع سابق** ، ص64 .

[2] محمد الهادي لعروق : **مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984م ، ص80 .

وباب الوادي [1] .

ولقد ازداد عدد اليهود بمدينة قسنطينة إلى أن أصبح يفوق (5000 نسمة) كما تشير بعض الوثائق الرسمية [2] ، كما أنهم اشتهروا بالمعاملة التجارية ، وقد مكنهم وضعهم ومهنتهم هذه أن يكون لهم نفوذ في الحياة السياسية والاقتصادية بالمدينة .

3. **جسر القنطرة :** قام صالح باي بترميم وإصلاح لجسر القنطرة الروماني الذي تعطل منذ خمسة (5 قرون) ، فجلب لهم الحجارة من حصن المنصورة الروماني المهدم ووفر لهذا المشروع مادة البناء وخبراء وعمال فنيون استقدمهم من البلاد الأوربية تحت إشراف المهندس الاسباني (الدون بارتولمبو Don Bartolomeo)[3] ، واضطر صالح باي إلى أن يصرف على هذا المشروع مبالغ مالية طائلة .

والهدف من هذا المشروع هو تسهيل المواصلات في النواحي الشرقية للبايلك والشرقية الجنوبية التي كانت تسلكها الحملات العسكرية والقوافل التجارية .

كما كان يهدف من عمله هذا جلب المياه الصالحة للشرب من عين العرب* الواقعة

---

[1] محمد الصالح بن العنتري : **مصدر سابق** ، ص78 .

[2] عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي لعروق : **مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية** ، ط1 ، دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، 1984م ، ص 80 .

[3] عبد العزيز فيلالي : **مدينة قسنطينة تاريخ معالم حضارة** ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2007م ، ص 164 .

* عين العرب : عين ماء غزيرة ، كانت تزود الحوض الواقع خارج جسر القنطرة بالمياه الصالحة للشرب ، وهي تقع قبالة المستشفى المدني على طريق عنابة على بعد 1178.10مترا من منارة جامع القصبة ، ومستواها يعلو على هذه المنارة بـ 10.08 امتار.

بأعالي سوق الغزل لسكان حي باب القنطرة ، حتى يوفر عليهم متاعب جلب المياه من أسفل الوادي عند باب الجابية " **الصهريج** " [1]

على أن هذا المشروع لم يكتب له تنفيذ بسبب مقتل صالح باي لأنه لم يشرع فيه سوى سنة 1792م السنة الأخيرة من حكمه واتهم بسببه على انه كان يرمي من روائه إلى الانفصال وإعلان الاستقلال .

وبذلك بقيت القنطرة ، عبارة عم متاريس من الحوجز (**Les parapets**) تستند عليها أرضية الجسر (Tablier du pont) عندما أوقف بها **الباي حسين**** خلف صالح باي[2] .

المطلب الثاني : خدماته الثقافية

لقد أولى الحكام عناية خاصة للتعليم في النصف الثاني من القرن 12هـ / 18م وقد شجعهم على ذلك الاستقرار السياسي الذي عرفته البلاد في الفترة المذكورة وما أنجزه صالح باي في بايلك قسنطينة في مجال التعليم يوحي أن هناك منافسة بين الحكام .

---

[1] ناصر الدين سعيدوني : ((**مذكرة حول اقليم قسنطينة**)) **مجلة الاصالة** ، ثقافية شهرية ، العدد 71/70 ، السنة الثامنة ،صادرة عن وزارة الشؤون الدينية ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، رجب – شعبان 1399هـ/جوان جوبلبة 1979م، ص ص 8 – 9 .

** الباي حسين : بن حسين باي بوحنك كان باي على قسنطينة سنة (1207– 1209هـ / 1792– 1795م) إلا أن حكمه لم يدم طويلا وقتل هو الأخر لتعاونه مع باي تونس وخوفا من هذا الاخير الاستيلاء على اراضي بايلك الشرق لذا عمد الداي الى عزله ثم قتله أنضر مجهول : تاريخ بايات قسنطينة مصدر سابق ، ص ص 17– 18 .

[2] ناصر الدين سعيدوني : **ورقات جزائرية دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني** ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان 2000م ، ص 152 .

ولقد ساعد صالح باي استقرار الاحوال وطول البقاء في الحكم على القيام بأعمال عظيمة في ميدان العلم والثقافة وتوسيع نطاق الحركة العلمية ، فاستمر صالح باي على الخطى التي سار عليها سلفه الباي **أحمد القلي** في تجميل مدينة قسنطينة وجعلها عاصمة لائقة بمركزها .

وذالك يعتبر في نظره جزءا من واجبه الديني لخدمة المجتمع ومساعدته في تأدية شعائره الدينية ، وكسب عطف الرعية ، ولربما الشهرة أيضا [1].

وهو ما نجده في ما قام به صالح باي من خلال منشآته و تأسيسه للمساجد والمدارس وتشجيعه للحركة العلمية والتربوية ومحاربة البدع والخرافات ، والاسترشاد في المهمات بآراء العلماء والعارفين من أهل الخبرة والتجربة .

ومن أشهر ما أسسه الجامع الحنفي سيدي الكتاني[2] سنة 1190هـ / 1776م ، وفي عام 1202هـ / 1787م أنشأ المدرسة الكتانية الملاصقة لمسجد سيدي الكتاني من الجانب الشرقي بحي سوق العصر الذي هو من أشهر احياء المدينة وتعرف باسم المدرسة الكتانية نسبة إلى ولي مدفون بالمكان الذي بنيت فيه ، ويوجد بالمدرسة بيوت لسكنى الطلبة ومسجد صغير للصلاة وإلقاء الدروس وقراءة القرآن .

كما شيد مدرسة أخرى ملحقة بالجامع الأخضر سنة 1193هـ / 1779م وجعل لها نظاما

[1] يحي بوعزيز : **المساجد العتيقة في الغرب الجزائري** ، دار البصائر ، الجزائر 2009م ، ص 10 .
[2] انظر الملحق : رقم 04 .

محكما واشترط على الطالب الراغب في الالتحاق بها أن يكون حافظا للقرآن ، أما المسجد فتم بناؤه عام 1156هـ / 1743م[1] في أيام **الباي حسن بوحنك** * .

فالعناية بالمساجد كانت واضحة في المجتمع الجزائري ، نظرا لكونها بيوت الله وهي مؤسسة دينية ثقافية واجتماعية ، وهي ملتقى الناس لأداء العبادات ومناقشة أمور دينهم ودنياهم ، فلا نجد حيا في المدينة إلا وبه مسجد خاص ، حيث كان يتم بناء المساجد من تبرعات أعيان البلد أو الحكام من بايات ودايات وكانوا يتبرعون ويبنون المساجد وينسبونها لأنفسهم ويساهمون في توسيعها وتزيينها .

وهذا ما قام يه صالح باي من خلال بناء جامع آخر يحمل اسمه بعنابةفي أواخر أيامه سنة 1208هـ / 1791م ويعرف بالجامع الجديد ، الذي نقشت عليه هذه الأبيات الخمسة (05) بظهر حائط القبلة ، وتظهر من خارج المسجد تؤرخه وتظهر مشيدة :

لعمرك بيت الله للسر جامع مشيد أركانه به النور ساطع .

بدت دونه زهر الكواكب رفعة به بونة للسعد منها مطالع .

به جاد تاج الدين والمجد صالح إلى درج العلياء راق وطالع .

أمير البرايا زاد ظفرا ونصرة مؤيد دين الحق المشرع تابع .

---

[1] محمد المهدي : **مصدر سابق** ، ص ص 237 – 240 – 385 – 386 .

* حسن بوحنك : هو حسن باي أبو حنك كان باي على قسنطينة سنة 1149 – 1168م / 1736 – 1754م ، راجع محمد المهدي : **نفس المصدر** ، ص371 .

فمذ أسس البيت الرفيع على الهدى أرخه للخير برك جامع .[1]

فلم يكن بالجزائر العثمانية مدينة تخلو من المساجد باستثناء مدينة وهران التي لام **أبو راس الناصري** الاسبان على طمس مساجده **<< درّسها الكفرة وعفوا رسمها >>** [2] .

ولكن بعد تحريرها على يد الباي محمد الكبير الذي يعد من البايات الذين قدموا الكثير لقطاع التعليم فأعاد بعث الحركة الثقافية بصفة عامة في بايلك الغرب بعد ان عرفت ركودا في الفترات السابقة فقد شيد عددا من المساجد والمدارس في مدنها وأريافها ، ورتب لها مدرسين وخصص لها مداخيل الأوقاف للتسيير والرواتب ، وعرفت حالة المدرسين والعلماء في عهده تحسنا بفضل تلك الإجراءات التي اتخذها في صالحهم ، وقد شجع ذلك الناس بالإقبال على العلم بعد أن استبدله بالتجارة لقلة فائدته [3].

كما انه قام مثل صالح باي بتأسيس الجامع الكبير أو مسجد الباشا عام 1796م تخليدا لفتح وهران ، كما تشير إلى ذلك اللوحة الرخامية التي نقش عليها تاريخ تأسيسه [4] .

ولقد بلغ عدد الجوامع الكبرى على عهد صالح باي خمسة (05) جوامع ، أما المساجد الصغيرة فكان عددها يزيد على السبعين (70) في حين قدر عدد الزوايا ثلاثة عشر(13)

---

[1] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي : **تاريخ الجزائر العام** ، ج3 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2010م ، ص 281.

[2] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي (1500- 1830م)** ، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1998م ، ص 448 .

[3] أحمد بن محمد بن علي سحنون الراشيدي : **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني** ، (تحقيق وتقديم المهدي بوعبدلي) ، مطبعة البحث ، قسنطينة ، 1979م ، ص 135 .

[4] يحي بوعزيز : **مدينة وهران** ، مرجع سابق ، ص ص 94- 95 .

زاوية [1] التي كان لها دور ايجابي في نشر التعليم بجميع مستوياته ومن أشهرها زاوية سيدي الكتاني ، فالزوايا كانت عبارة عن نقطة أمامية ضد الأعداء وذلك بقيادة الأتباع في الحروب الجهادية من اجل الدين وحماية البلاد [2].

وهذا من خلال مشاركة العالم الفقيه الشيخ **عبد القادر الراشدي*** إلى جانب الجيش الجزائري الذي خرج من قسنطينة في طريقه إلى مدينة الجزائر بقيادة صالح باي للدفاع عن البلاد ، إذا فهو لم يكن عالم دين وحكم فقط بل كان رجل كفاح وجهاد إلى جانب مهنته التدريس بمدرسة الجامع الأخضر وتولى القضاء المالكي والإفتاء إلى جانب عدة وظائف أخرى [3].

ثم أصبحت الزوايا مهمتها بعد القضاء على الخطر الخارجي تتركز في التعليم ، فقد احتلت الزوايا مرتبة الصدارة في التعليم بين المراكز التعليمية الأخرى [4]، فقد مثلت دور المساجد والمدرسة في آن واحد وجمعت بين التربية الروحية والعلمية والعسكرية لكونها مبنية

---

[1] ناصر الدين سعيدوني : **دراسات وأبحاث** ، مرجع سابق ، ص 66 .

[2] ابو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج1 ، مرجع سابق ، ص 277 .

* وهو الشيخ عبد القادر الجزائري بن محمد بن احمد بن مبارك الراشدي عالم وفقيه عاش في مدينة قسنطينة وتولى القضاء والتدريس والفتوى وكان من اللجنة العلمية التي استعان بها صالح باي في تنظيم الأوقاف أنضر سليمان الصيد : **مرجع سابق** ، ص ص 35 – 36 .

[3] يمينة سعودي : **مرجع سابق** ، ص 76 .

[4] محمد سي يوسف : **<< نظام التعليم في بلاد زواوة خلال العهد العثماني >>** **مجلة الحياة الفكرية العربية** ، العدد 1 ، الجزائر ، 1990م ، ص 193 .

على التصوف والاستعداد للجهاد [1].

ويقوم بالإمامة والتدريس في المساجد والمدارس أئمة ومدرسون يشرفون على الموظفين فيها من مقرئين ومؤذنين وحفظة والنفقات عليها من أموال الأوقاف في داخل المدينة وخارجها .

وكان من ابرز لواحق المسجد : الكتاتيب لتحفيظ القرآن والزوايا لمبيت الطلبة والغرباء والعيون والميضاء للطهارة والاستحمام ، تختلف في عدد موظفيها من جامع لآخر واغلبها كان موظفوها : **الإمام الوكيل ، الخطيب ، المؤذن ، الحزاب ، بعض القراء** وكان لهم مرتب خاص من الوقف وكمثال عن مرتبات الموظفين في جامع سوق الغزل كما خصصها صالح باي كالتالي :

100ريال ~~للخطيب~~.

50 ريال ← للإمام .

30 ريال ← لرئيس المؤذنين .

125 ريال ← لخمسة مؤذنين (25 ريال لكل منهم).

20 ريال ← لخمسة حزابين 4 ريالات لكل واحد .

[1] العيد سعيد مسعود : **<< حركة التعليم خلال العهد العثماني >> مجلة سيرتا** ، العدد 3 ، قسنطينة ، الجزائر ، ماي 1980م ، ص 65 .

04 ريال ←——— لحامل عكاز (أوعصا) الخطيب .

28 ريال ←——— للمنظفين .

40 ريال ←——— لناظر الوقف (أو الوكيل) .

48 ريال ←——— لمدرس المدرسة (التابعة للجامع) .

144 ريال ←——— لاثني عشرة طلبة يحضرون دروس المدرسة . [1]

ولقد كانت المدارس تشيد غالبا بجوار المساجد وذلك للصلة الوثيقة بين العلم والدين غير أنه لابد أن يؤسس داخل كل مدرسة بيت للصلاة [2].

وثبت في سجل صالح باي للأوقاف أنه كان على عهده مدرستان ثانويتان وهما **مدرسة بوقصيعة ومدرسة سيدي ابن خلدون** ولكنه لم يذكر عدد المدارس الابتدائية آنذاك [3] .

كما أن صالح باي أوقف في قسنطينة عددا من الكتب على المدرسة الكتانية التي بناها، ولكنه لم يعرف عنه أنه كان يشجع حركة التأليف والنسخ كما فعل زميله ومعاصره **محمد الكبير** بل كان يشتري الكتب الموقوفة من أصحابها وما يزال بعضها يحمل ختمه إلى اليوم.

[1] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج1 ، مرجع سابق ، ص 257 .
[2] يحي بوعزيز : **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب** ، ج1 دار الهدى ، الجزائر ، 2004م ، ص 198 .
[3] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج1 ، مرجع سابق ، ص 257 .

ولقد قسمت المكتبات إلى مكتبات عامة وخاصة وتعد مكتبة المدرسة الكتانية من أشهر المكتبات العامة التي كانت ملحقة بالمساجد والزوايا والمدارس التي أسسها صالح باي ، وقد وجد الباحثون في مكتبات قسنطينة عددا من الكتب عليها عبارات توقيف وختم صالح باي والقاضي الحنفي **محمد العربي بن عيسى** وغالبا ما كان الوكيل يضع ختمه إلى جانب ختم الوقف [1] .

لقد كان لهذه المؤسسات الفضل الأكبر في انتشار القراءة والكتابة واللغة العربية بالجزائر عامة ، خاصة تعليم تحفيظ القرآن الكريم ، وقد استمرت الهيمنة للتعليم القرآني إلى مراحل متأخرة من تاريخ الجزائر المعاصر وهذا ما يفسر احتفاظ اللغة العربية بمكانتها خلال العهد العثماني [2] .

المطلب الثالث : سياسته التعليمية

كان بالجزائر اهتمام كبير بالعلم والتعليم رغم أنه كان مقتصرا على العلوم الدينية الخاضعة بدورها للطبقة المتدينة ، ورغم هذا فإن بعض الرحالة الذي أوردوا شكواهم من تدهور العلم أمثال : **أبوراس الناصري (توفي 1823م)** بقوله : **<< أني في زمن عطلت**

[1] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج1 ، مرجع سابق ، ص ص 294 – 296 – 298 .

[2] الطاهر عمري : **دور بنى المجتمع الجزائري في مقاومة الاستعمار (1830 – 1900م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، (غير منشورة) ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، الجزائر** ، 1898 – 1999 م ، ص 59 .

فيه مشاهد العلم ومعاهدة وسدت مصادره وموارده >> [1] .

وقد كانت حركة التعليم على عهد الأتراك تسير مسيرة عادية ولم يحصل تطور في العهود ثم إلى حركة التجارة والكسب والبحري في العهود التالية ، بالإضافة إلى إرادة الولاة إذ لم يكن لخم تكوين ثقافي سابق باستثناء العاطفة الدينية التي تتأجج في نفوسهم .

ورغم عدم اهتمام الدولة العثمانية بالجانب التعليمي فإن الحركة العلمية لم تتعطل ومدينة قسنطينة قد حافظت على التراث الفكري والثقافي الذي ورثته وواصلت سيرها في هذا الطريق ونبغ فيها علماء وشعراء ومثقفون [2] .

وحتى تؤدي هذه المؤسسات دورها الثقافي ، استحدث صالح باي نظام دراسي دقيق يتقيد به المدرسون والطلبة ، ويخضع له الموظفون بأماكن الدرس والعبادة وتوفير الظروف الملائمة لهم ، حيث قام بتوظيف وكيل (مدير) يسهر على نظام الدراسة والسير الحسن للمدرسة ، ويساعده على ذلك معاون يدعى القيم ، كما استحدث في كل مدرسة قاعة صلاة وميضاء وخمس (05) غرف واحدة للمدرس والأربعة الأخرى للطلبة الثمانية حيث يتوزع كل طالبين على غرفة [3] .

---

[1] سعد الله أبو القاسم : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج 1 ، ط3 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1990م ، ص ص 84 – 246 .

[2] يحي بوعزيز : **الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر الحديثة المعاصرة)** ، ج2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2007م ، ص ص 66 – 67 .

[3] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج1 ، مرجع سابق ، ص 284 .

كما أنه وفر الإقامة للتلاميذ الذي يأتون من قبائلهم خارج المدينة فمنهم من كان يستفيد من مداخيل المساجد ومنهم من أسكنهم لدى العائلات القسنطينية الكبيرة أمثال : **عائلات ابن الفكون ، كوجك علي ، ابن جلول ، باش تارزي ، ابن البجاوي** [1] .

وكانت الدراسة في المرحلة الثانوية مجانا ، بل كان هناك طلاب يتقاضون أجور ومنحة دراسية من موارد الأوقاف المخصصة لهم ، بالإضافة إلى السكن والأكل في الزوايا لمزاولة تعليهم فبالرغم من المزايا التي كان يوفرها هذا النظام للطلبة فانه لم يترك لهم وقتا للترفيه عن النفس ، ومعظم الوقت كانوا يقضونه في التعلم [2] .

كما وضع نظام داخلي دقيق يضبط أوقات التدريس و الغيابات وعدد أحزاب القرآن المتلوة كل يوم ، وحددت الدراسة لمدة عشرة (10) سنوات لإنهاء التعليم ووضع عقوبات زجرية للذين يخلون بالآداب العامة ومنها الطرد حتى قيل أنها لا تضاهي المدارس الأوربية المعاصرة لها ، وعين بالمدرسة عددا من رجال الدين والفقهاء لتدريس الفقه والحديث واللغة ، وغيرها من العلوم الأخرى ، أمثال الشيخ **عبد القادر الراشدي** المفتي الحنفي والشيخ **شعبان جلول** قاضي الحنفية والشيخ **العباسي** قاضي المالكية [3] .

---

[1] A. CHERBONNEAU : ((**Inscription arabe**)) , **Revue Africaine** , N° 3 , (1858/1859) , P 469 .

[2] E.VAYSSETTES: **Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517–1837** , presentation de ouarda siari tengour , éd bouchen , paris , 2002 , p p 134 – 136 .

[3] أحمد توفيق المدني : **محمد عثمان باشا ، مرجع سابق** ، ص 135 .

وخصص للمعلمين والفقهاء والوعاظ والأئمة أجور سنوية قارة من أموال الأوقاف التي اهتم برعايتها وصيانتها [1] .

وبالإضافة إلى هذا كان هناك أيضا الوكيل ، الذي يهتم بالغذاء ، وحارس للمدرسة والذي يقوم أيضا بكنس الفناء ، وإنارة قاعة الصلاة وكان صالح باي يدفع للمدرسين "**30** ريال" في السنة، وأجر الوكيل "**ثمانية ريالات**" ريالات والحارس"سبعة ريالات" ، أما الطلاب "**ستة ريالات**" لكل طالب[2] .

وما يمكن قوله على التعليم عامة ، فإنه كان يغلب عليه الطابع الديني أما العلوم الاخرى كالطب ، والرياضيات والكيمياء ، والفلك ، وغيرها ، فإنها كانت متواضعة ، وهذا ما جعل القنصل الامريكي السيد **شالر** يقوا عن العلوم في الجزائر : **<< وأما العلوم فإنها غير موجودة أوهي متى كانت موجودة ، محتقرة ، بل إن علم الطب نقسه لا يوجد من يدعيه ... إن القرآن هو كل علوم هؤلاء القوم وآدابهم >>**[3].

المبحث الثاني : خدماته الاجتماعية

لقد عرف المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني مؤسسات ذات أغراض اجتماعية

---

[1] محمد صالح العنتري : **مصدر سابق** ، ص 77 .

[2] عبد الحميد هنشير: **دايات و بايات المغرب العثماني** ، مطبعة الصديقة ، تونس ، 1990م ، ص 60 .

[3] أزرقي شويتام : **مرجع سابق** ، ص 483 .

بالدرجة الأولى منها الأوقاف والقضاء وهما مؤسستان كان لهما دور فعال في خدمة المجتمع بمختلف فئاته وعناصره ، وهما تعودان إلى العهد الإسلامي وسنتطرق أولا إلى مؤسسة الأوقاف .

المطلب الاول : الوقف أركانه وأغراضه

الأوقاف تعتبر ظاهرة اجتماعية إسلامية عرفتها الجزائر قي الفترة التي سبقت مجيء الأتراك ، والواقفون في الجزائر خلال العهد العثماني لا حصر لهم بجنس أو طبقة أو مذهب ، فيهم الرجل والمرأة ، العثمانيين والحضر ، والأحناف والمالكية ، وهي مؤسسة أسهمت في مختلف أوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، والثقافية والسياسية والعمرانية من خلال ما تركته في الخزائن العامة أو الخاصة .

تعريف الوقف : وهو عبارة عن وثيقة شرعية قانونية ، كانت تسجل عند القاضي بحضور صاحب الوقف والشهود [1] ، ويلتزم باحترامه الواقف وأهله والمستفيدين منه وكذلك السلطة .

[1] جميلة معمري : ((**دور الزوايا في مقاومة الجهل والتبشير المسيحي**))، **مجلة الشهاب الجديد** ، مجلة فكرية ، دورية ، العدد الثالث ، المجلد الثالث ، تصدرها مؤسسة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر ، ربيع الأول 1425 هـ / أفريل 2004م ، ص 278 .

وأنواع الوقف كثيرة ولا يمكن حصرها ، فهناك من يوقف عقارا وهناك من يوقف عينا أو بئر وهناك من يوقف غلة حقل أو غلة مجموعة أشجار ، وهناك من يوقف للقراءة على نفسه أو زوجه وأولاده فقد ينص الوقف على قراءة حزب معين أو سورة أو ذكر معين مع تحديد النقود[1] ، مثل الكتب التي حبسها صالح باي على الجامع الذي بناه والمدرسة المحاذية له .

أما عن المذهب المتبعة في الحبس فإن جل الأوقاف في الجزائر تحت الحكم العثماني في الجزائر كانت تتبع قول الإمام **أبي الحنيفة النعمان** حسب الصيغة المعتمدة في العقود المحلية ولهم الحرية في الاختيار بين المذاهب .

ويكمن الفرق بين المذهبين كون أن المذهب المالكي يرى ضرورة صرف الوقف على المصلحة العامة التي حبس من أجلها ، أما المذهب الحنفي يبيح للواقف الانتفاع بما أوقفه مدى الحياة ثم لصالح سبل الخيرات بعد انقراض العقب[2] .

أركانه :

- أن يكون الواقف أو المحبس عاقلا ، بالغا ، حرا وله كامل التصرف في ملكه .
- أن يكون الموقوف هو مصدر الثروة أو المنفعة ذات طبيعة دائمة كالعقارات ، حيث يستفاد من ريعها والأشجار من ثمارها .... الخ .

[1] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، مرجع سابق** ، ص ص 228 – 229

[2] فاطمة الزهراء قشي : **مرجع سابق** ، ص ص 65 – 66 .

- أن يتم في عقد مكتوب ويعبر بوضوح بصيغة (وقفت) أو حبست أو سلبت حبسا مؤبدا لا يغير ولا يبدل
- يجب التسليم في حق الملكية التي يرجع فيها التصرف لجهة الوقف وتكون إدارة الوقف للناظر أو القيم أو المتولي الذي يعينه المحبس وقد يكون هو نفسه عند غير المالكية [1].

أغراضه :

- ✓ العناية بالعلم والعلماء وبالفقراء والمساكين والأرامل واليتامى حيث كان يعين مدخول الوقف لتموين المساجد والزوايا والكتاتيب والأضرحة ، وقد عرف الكثير من الشخصيات الدينية والسياسية من العثمانيين أنهم خصصوا مداخيل الأوقاف لخدمة المساجد والزوايا وكذلك عرفت النساء في المجتمع هذا النظام [2] .
- ✓ العمل على تماسك الأسرة الجزائرية وحفظ حقوق الورثة .
- ✓ الإنفاق على رجال العلم و المدرسين و الطلبة ، كما يساهم في إعانة الطلبة على مواصلة دراستهم بجامعات إسلامية كفاس و القيروان وجامع الزيتونة أو القاهرة .
- ✓ الحد من المظالم والأحكام التعسفية للحكام .

[1] فاطمة الزهراء قشي : **مرجع سابق** ، ص ص 64 – 65 .

[2] جميلة معمري : **مرجع سابق** ، ص 278 .

- ✓ تمكين العجزة والقصر من تسيير واستغلال مصادر رزقهم [1].
- ✓ العناية بمذهب معين كالمذهب الحنفي أو المالكي مثلا .
- ✓ تضامن المجتمع وترابطه ، كما أظهر تضامن فئات معينة مع بعضها كالأشراف وأهل الأندلس .
- ✓ التأثير الديني والسياسي خارج الحدود كإرسال النقود سنويا الى فقراء مكة والمدينة مع ركب الحج [2].

المطلب الثاني : تنظيم صالح باي للأوقاف

لقد كان للوقف مكانة في السياسة و العمران وهذا من خلال ما قام به صالح باي في قسنطينة والمتمثلة في إشرافه على تنظيم مؤسسة الأوقاف ورعايتها ورقابتها .

حيث وصلت أخبار بصالح باي بان التقصير قد وقع في أوقاف المساجد ، وعاش فيها الوكلاء فسادا ونهبا وإهمالا فعطلت عن وظائفهما وأصبحت مرابط للدواب [3]، فأصدر صالح باي قرارا في عام 1190هـ / 1776م كلف بموجبه القضاة والمفتين **(كل من الشيخ عبد القادر الراشدي المفتي الحنفي ، وشعبان بن جلول القاضي الحنفي والقاضي المالكي)**

---

[1] ناصر الدين سعيدوني : **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية (الفترة الحديثة)** ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2000م ، ص ص 245، 249، 233 .

[2] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، مرجع سابق** ، ص ص 229، 230، 233 ,

[3] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، نفس المرجع** ، ص 229 .

بالبحث عن أوقاف المساجد بعد أن حولت عن أغراضها الأساسية وأمرهم بتقييد نتائج تحقيقاتهم في سجل خاص [1] ، ويشرف على الوقف وكيل يعينه الباي بناءا على مواصفات معينة كالأخلاق الفاضلة والنزاهة والعلم و السمعة الطيبة بين الناس .

كما وضعت دفاتر صغيرة الحجم خصت كل مسجد بصفة مستقلة ، وقد بلغ عددها المائة [2] . وللحفاظ على هذه الدفاتر من الضياع أمر بنقلها في أربع نسخ تكون موزعة على أربع موظفين سامين وأربعة مؤسسات تحفظ الأولى عند وكيل بيت المال والثانية عند شيخ البلد والثالثة عند قاضي الحنفية والربعة عند قاضي المالكية [3] .

كما قرر محاسبة الوكلاء في كل ستة أشهر وعهد الى (المجلس العلمي) المكون من العلماء وصاحب بيت المال ، بالنظر في شؤون الأوقاف وفائضها في كل سنة على ان يستعمل الفائض في شراء عقار آخر يصبح بدوره وقفا وهكذا [4] .

وحسب فاطمة الزهراء قشي أن مصدر هذه العقود النسخة التي احتفظ بها قاضي الحنفية في التاريخ السيد **شعبان عبد الجليل** لأن بقايا هذا الدفتر محفوظة حاليا لدى دار **ابن جلول** أحفاد القاضي المذكور وأحفاد الباي صالح من إحدى بناته [5] .

---

[1] E.VAYSSETTES : **OP , CIT** , P 137 .

[2] فاطمة الزهراء قشي : **قسنطية في عهد صالح باي ، مرجع سابق** ، ص 67 .

[3] فاطمة الزهراء قشي : **سجل صالح باي للاوقاف (1185 – 1207 م/ 1771 – 1792م)** ، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع ، الجزائر 2009م ، ص 09 .

[4] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، مرجع سابق** ، ص 229 .

[5] فاطمة الزهراء قشي : **قسنطية في عهد صالح باي ، نفس المرجع** ، ص 68 .

ويحتوي هذا السجل على عقود عدلية صدرت عن المحكمة الشرعية لمدينة قسنطينة ، موثقة بتوقيع شاهدي العدل عليها بخاتم القاضي ، وتوزعت بين 1187هـ / 1203م وبعضها مختوم بطابع الباي صالح ويرجح أنها تلك التي تخصه هو شخصيا ولقد كان صالح باي طرفا في أكثر من ثلثي المعاملات في سجل الأوقاف لأن المعاملات الأخرى كانت عمليات شراء أو معارضة سبقت تأسيس الوقف كما أن جل الأحباس الخيرية ، مآلها كان جامع سيدي الكتاني بالإضافة إلى المدرسة الملاصقة له [1] وبالإضافة إلى المؤسسات والمشاريع العمرانية الأخرى .

وقد اتبع الباي **محمد الكبير** في معسكر طريقة مشابهة فقد جاء في إحدى الوثائق أنه اتبع أوقاف مدرستي تلمسان << التي استولت عليها الأيدي ونسي الناس أنها أوقاف >> وأعاد للمدرستين الأراضي التابعة لهما[2] . وصالح باي أول من كان فاعلي الخير وسرعان ما حذا حذوه بعض أعيان المدينة من كبار الموظفين كـ السيد **رضوان خوجة** وكيل بيت المال والسيد **مصطفى فيصارلي** ، إلا أن أملاك صالح باي كانت الأكبر[3].

كما سمح هذا السجل بمعرفة :

- تصنيف العقود من حيث طبيعة الوقف بين خيري أو عام موجه لخدمة المؤسسات مباشرة وبين ذري أو أهلي ينتفع به العقب قبل المال الآخر .

[1] أبوالقاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، مرجع سابق** ، ص 229 .
[2] فاطمة الزهراء قشي : **سجل صالح باي للأوقاف ، مرجع سابق** ، ص 10.
[3] فاطمة الزهراء قشي : **قسنطية في عهد صالح باي ، مرجع سابق** ، ص 69 .

- شيوع العمل بالمذهب الحنفي سواء كانوا أحنافا أو مالكية .
- قيام صالح باي بمعاملات كثيرة بين الشراء ومعارضة مع أعيان المدينة وملاكها من المسلمين واليهود وحرمته على منع المعاوضات مع المساجد .

ولم ينشغل صالح باي بذلك عن نفسه وأولاده فقام باقتناء العقارات وغيرها وأصدر أول حبس على نفسه وعلى عقبه من بعده عام 1189هـ ، تبعه أعيان قسنطينة الكبار في دعم جامع الجديد ، بريع أحباسهم الخيرية والذرية [1] .

المطلب الثالث : القضاء

يعد أحد المؤسسات الاجتماعية المهمة وهو يهتم بمعالجة قضايا ومشاكل المجتمع ورفض النزعات والخلافات التي تقع بين الأفراد .

ويعتمد القضاء على الشريعة الإسلامية وقد كان يمثله مفتي وقاضي يكل من المذهب الحنفي الذي يمارسه الأتراك والمذهب المالكي الذي يتبعه الأهالي[2] ، ومكانته المهمة تعود لتعامله مع السلطة التنفيذية وكذا مع قضايا المجتمع ومصالح السكان حتى صار لكل مدينة رئيسية قاضيان كما ارتبط وثيقا بتنظيم مؤسسة الأوقاف[3] .

---

[1] فاطمة الزهراء قشي : **سجل صالح باي للأوقاف، مرجع سابق** ، ص ص 12 – 13 .

[2] ناصر الدين سعيدوني : **النظام المالي ، مرجع سابق** ، ص 50 .

[3] عمري الطاهر: **مرجع سابق** ، ص 64 .

كما فعل صالح باي فقد كان المفتيان المالكي والحنفي يعينهم صالح باي نفسه أمثال الشيخ **عبد القادر الراشدي** المفتي الحنفي ، والشيخ **شعبان بن جلول** قاضي الحنفية ، والشيخ **العباسي** قاضي المالكية ، ويتألف منهم المجلس الشرعي (القضاء) الذي يجتمع كل جمعة برئاسة الباي للنظر في الأحكام المطلوب فيها الاستئناف أو تقدم مباشرة إلى المفتي من غير صدور حكم قاضي فيها[1] .

وكان إلى جانب القاضي معاونوه من كتاب ومحررين يقومون بتسجيل محاضرات الجلسات وإعداد الوثائق الخاصة بعقود البيع وغيرها من الملفات الرسمية[2] .

ويعاقب القضاء على الجرائم بمختلف أنواعها كالسرقة بقطع اليد وتداول النقود المزورة بقطع اليد والتشهير في الشارع [3] ، والعقاب يكون عن طريق الفلقة (الضرب على الأرجل) ، أو السجن أو أشدها هي الغرامة المالية التي يصعب توفيرها[4] .

لكن رغم ذلك نسجل أن القضاء كان يقر بالطبقات الاجتماعية ، فهناك فريق بين عقاب الأتراك الذين يعاقبون سرا في دار آغا الانكشارية حتى لا تهان كرامتهم ، بينما الفئات

---

[1] محمد المهدي : **مصدر سابق** ، ص 215 .

[2] أبو العيد دودو : **الجزائر في مؤلفات الرحالين الالمان (1830-1855م)** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1975م ، ص 60 .

[3] فاندلين شولصر: **قسنطينة أيام أحمد باي (1830.1837م)** ، **(ترجمة أبو العيد دودو)** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د ت ، ص ص 82-83 .

[4] أبو العيد دودو : **مرجع سابق** ، ص60 .

الاجتماعية يشعر البراح بجرائمهم ، مع أنه منح الحق لغير المسلمين بإنشاء محاكم خاصة تبث في جميع القضايا ماعدا التي تمس سلامة الدولة أو لها علاقة بالأهالي[1] .

ولكن عدم تقاضي موظفي العدالة أجور محددة عن عملهم ساهم في شيوع الرشوة وانحراف القضاة في بعض الأحيان هذا ما أدى إلى لجوء السكان للنوع الثاني من القضاء وهو العرفي [2] ، ويسود بالخصوص الأرياف والمناطق الجبلية والنائية ، ويقوم على أساس الاحتكام للمرابطين وكبار السن أو جماعة الأشراف ، وبعض شيوخ الطرق الصوفية .

[1] فاندلين شولصر: **مرجع سابق** ، ص50 .

[2] ناصر الدين سعيدوني : النظام المالي ، مرجع سابق ، ص 51 .